View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by Jurnal Online Fakultas Tarbiyah dan Keguruan (UIN Sunan Ampel Surabaya

قضية التذكير والتأنيث في اللغة العربية

Damhuri
IAIN Sultan Amai Gorontalo
damhuridjnoor@gmail.com

Ratni Bt. H. Bahri
IAIN Sultan Amai Gorontalo
ummiudail@gmail.com

Abstract: *Human beings are created by God into two big clustersnamely male and female. Based on striking differences between the two types of creatures has implications for many things, including language..The grouping of nouns by type is a fairly unique phenomenon. The phenomenon is found almost in most languages of the world, not only in the Smith-Hmit family, but in Indo-European languages with varying quality and quantity.In Arabic, the example of this linguistic phenomenon is very powerful and is one of the characteristics of the Arabic language.The most popular theory of word grouping into muzakkar (male) and muannats (females) is a theory that sees a connection and relationship between the word(lafaz) and the meaning (Makna). In the historical perspective of ancient society, it is also associated with the myths of public belief based on the nature of the world in general consists of muzakkar and muannats.These theory - in another perspective - especially the ancient society has the power of argument and reason, but in the perspective of modern society has a deadlock of argument and loses its relevance. The issue not only ends in the classification aspect, but it is more difficult to make perfect rules that can be followed to identify the types of muzakkar and muannats. The rules of muzakkar and muannats in the reference books of nahwu are not separated from a large number of exceptions. Therefore, the conclusion of the muzakkar and muannats theories in Arabic refers to the tradition of Arabic usage of a particular word, and empowering a complete encyclopedia of muzakkar and muannats rather than creating many rules that are unable to accommodate a general distinction between the two type of the word.*

Key Word: muzakkar, muannats, Arabic

Abstrak: Manusia diciptakan oleh Tuhan dengan dua klaster besar, yaitu laki-laki (jantan) dan perempuan (betina). Dengan adanya pembedaan yang tegas antara dua jenis makhluk tersebut berimplikasi pada banyak hal, termasuk terhadap bahasa. Pengelompokan kata benda berdasarkan jenis merupakan fenomena yang cukup unik. Fenomena seperti ini ditemukan hampir dalam sebagian besar bahasa di dunia, bukan saja dalam rumpun bahasa Smith-Hmit, tetapi pada rumpun bahasa Indo-Eropa dengan kualitas dan kuantitas yang beragam. Dalam bahasa Arab, fenomena kebahasaan seperti ini sangat kental dan merupakan salah satu karakteristik bahasa Arab. Teori paling populer dalam masalah pengelompokan kata menjadi muzakkar dan muannats adalah teori yang memandang adanya hubungan antara lafaz dengan makna. Dalam perspektif historis masyarakat kuno, masalah ini dikaitkan dengan mitos-mitos masyarakat dalam memandang alam secara keseluruhan terdiri dari muzakkar dan muannats. Teori ini - di satu sisi - dalam perspektif masyarakat kuno memiliki kekuatan argumen, tapi dalam perspektif masyarakat modern memiliki kebuntuan argumen dan kehilangan relevansinya. Persoalan ini tidak hanya berakhir pada aspek klasifikasi tersebut, tetapi sulitnya membuat kaidah yang utuh yang dapat dipedomani dalam mengidentifikasi jenis muzakkar dan muannats. Kaidah-kaidah muzakkar dan muannats dalam kitab-kitab nahwu tidak terlepas dari sejumlah besar pengecualiaan. Sehingga kesimpulan akhir dari teori muzakkar dan muannats dalam bahasa Arab adalah merujuk kepada

tradisi penggunaan masyarakar Arab terhadap kata tertentu, dan lebih membutuhkan sebuah eksiklopedia utuh tentang muzakkar dan muannats daripada penciptaan kaidah-kaidah yang tidak mampu mengakomodir pembedaan kedua jenis kata tersebut secara umum.

Kata Kunci: muzakkar, muannats, al-lugah al-'Arabiyah

مقدمة

إنّ قضية التذكير والتأنيث في لغة من لغات العالم عامة وفي اللغة العربية خاصة، تُعدّ من أغمض أبواب النحو، ولها مسائل مشكلة ومتشعبة. فعلى هذا، اعترف برجستراسر (Bergstrasser)، أحد مستشرق ألماني بأن المستشرقين مهما قد خاضوا في تأملها وبذلوا جهدا كبيرا في دراستها، لم ينجحوا في حلّ مشكلاتها حلاّ جازما ولم يصلوا إلى الإجابة عن بعض التساؤلات حولها. وإنما النتيجة من هذه الدراسة هي الاكتفاء بتعدادها والإشارة إلى بعض الطرق المسلوكة لحلها.[1] ولغموض قضية التذكير والتأنيث في اللغة العربية، فإنّ دراستها تعدّ من أقدم باب النحو والصرف الذي اجتذب اهتماما واسعا من قبل علماء اللغة العربية. فقد خصص وأفرد كثير من اللغويين العرب بعض مؤلفاتهم لدراسة ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية، كالفراء وأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني والمبرد والزجاج وابن الأنباري وابن خالويه وابن جني وغيرهم،[2] علاوة على الذين قاموا بالدراسة المتعمقة خلال كتبهم النحوية والصرفية.

إذا لاحظنا ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية من خلال كتب النحو والصرف، فإننا نجد أنّ أكثر الأسماء في اللغة العربية يدخل تحت التقسيم إلى مذكر ومؤنث. وهذا يدل على أنّ الكلّ جنسان، مذكر ومؤنث، لا أكثر ولا أقلّ. وهي قاعدة مقررة في اللغات السامية عامة، ولا نعرف خروج على هذه القاعدة المطردة من أيّ من لغات السامية الأخرى، وحتى ذلك القسم الثالث (الخنثى) تعاملت معه اللغة السامية معاملة المذكر والمؤنث.

[1] رمضان عبد التواب، *التطور النحوي للغة العربية: محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني براجستراسر*، الطبعة الثانية؛ القاهرة: مكبة الخانجي ، ١٩٩٤، ص١١٣.

[2] أبو البركات بن الأنباري، البلغة في *الفرق بين المذكر والمؤنث*، حققه رمضان عبد التواب، (دون مكان: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠)، ٤٩.

فكان من المنتظر أن يكون لكل الجنسين أو لأحدهما علامة مميزة خاصة به، يشترك فيها كل الأسماء المنسوبة إليه. ولكن الأمر في الحقيقة على ضد ذلك في كلتا الجهتين.[3]

ذهب سيبويه وتبعه النحاة بعده إلى أنّ التذكير هو الأصل، ثم تفرع منه التأنيث.[4] ولكن هذه النظرية لا تخلو من انتقاد. إذ يجزم أحد بتذكير كلمة ويجزم آخر بتأنيثها ويجوز ثالث فيها أمرين. كل ذلك يدل على حالة الارتباك والفوضى. بل ذهب بعض المستشرقين إلى أن ليس في اللغة السامية البدائية نوعان من الجنس فحسب، بل فيها غالبا فيها أنواع كثيرة.[5] فهذه العبارة يدفنا إلى القيام بالدراسة حول أصول التذكير والتأنيث في اللغة العربية.

الافتراض حول أصول فكرة التذكير والتأنيث في اللغات

لفّت الجنس نظر الإنسان الأول، حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى، سواء كان في الإنسان أو في الحيوان. وأثّر هذه الملاحظة انعكس على لغته.[6] إنّ التفرقة البيولوجية بين الذكر والأنثى في المخلوقات المختلفة يستوجب التميز اللغوي، لأن اللغة أداة التواصل والتعبير.[7] ولما كان اللغة انعكاسا للإنسان، ظاهره وباطنه، فقد أثّر قضية الجنس فيها تأثيرا شاملا. ويبدو ذلك جليا لسيت مقصورة على اللغة العربية فحسب، ولكن في لغات العالم على وجه العموم، رغم من اختلاف بين اللغات في النظرة إلى تنويع كثير من المسميات تحت نوع المذكر والمؤنث أو الخروج عنها. ويظهر ذلك في اللغات السامية وغيرها من اللغات.[8]

يبدو أنّ العرب قد استقوا من فكرة ذكورة المخلوقات وأنوثتها فكرة تذكير المسميات وتأنيثها. وقد شملت قضية التأنيث والتذكير في اللغة العربية الأسماء كلها. وهذا يضعنا في التباس إزاء إدراج كثير من الأسماء في المذكرات أو المؤنثات. فكل ما هو موجود في الكون إما مذكر وإما مؤنث. لكننا نجد أنّ هذه الموجودات وهي ما

---

[3] رمضان عبد التواب، *التطور النحوي للغة العربية*، ص١١٣ ؛ وانظر إسماعيل أحمد عمايرة، *ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغة السامية؛ دراسة لغوية تأصيلية*، الطبعة الأولى؛ الأردن: مركز الكتاب العلمي، ١٩٨٦، ص. ١٢.

[4] انظر سيبويه، *الكتاب؛ كتاب سيبويه*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء الأول، الطبعة الثالثة؛ القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ص. 22.

[5] عصام نور الدين، *المصطلح الصرفي ؛ مميزات التذكير والتأنيث*، الطبعة الأولى؛ دون مكان الطبعة: الشركة العلمية للكتاب، ١٩٨٨، ص. ١٤٤؛ وانظر كارل بروكلمان، فقه اللغة السامية، ترجمه إلى العربية رمضان عبد التواب، دون مكان الطبعة: جامعة الرياض، ١٩٧٧، ص. ٩٥.

[6] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (الطبعة الثانية؛ القاهرة: مكتبة الخانجي١٩٨٥)، ٢٥١.

[7] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية (الطبعة الأولى؛ القاهرة: دار الوفاء، ١٩٨٨)، ٢٠.

[8] نفس المرجع، ٢٠.

يطلق عليها أسماء تنقسم من حيث المدلول التذكير والتأنيث إلى أقسام. فمنها ما هو مخلوق حيوان، ومنها ما هو نبات، ومنها ما هو جماد. فكل ما يتناسل ويتكاثر من المخلوقات يكون عن طريق الانقسام أو الجمع بين عضوى التذكير والتأنيث، فلسيت هذه قضيتنا.[9] وإنما هي قضيتنا هي الأسماء التى لا صلة لها بالجنس الحقيقي على وجه الإطلاق. فهناك أشياء أو الأسماء لا يلحظ فيها علامة أو خصائص ما يحملنا إلى إدراجها تحت نوع المذكر أو المؤنث. ورغم ذلك، فإن العرب وغيرها من الأمم تصنف هذه الأسماء إما تحت نوع المذكر أم تحت المؤنث. فيف الجادات مثلا، كالبحر والحديد والحجر والجبل، منها ما تدخل تحت المذكر ومنها ما هي مؤنث. وكذا في أسماء المعاني، كالكرم والعدل والصبر وغير ذلك. فمثل الأسماء، لا يلحظ فيها علامة ما يحملنا إلى إدراجها تحت المذكر أو المؤنث بالمدلول الحقيقي. وهذه الحقيقة تدل على أنه ليس هناك صلة عقلية بين الاسم وجنسه.

مهما كانت العلاقة العقلية بين الاسم ومسمياتها معدومة من خلال تحليلنا لهذه المسميات، لا ريب أن تفكير الإنسان منذ بداية خلقه في الجنس وتنبه أثناء التعبير إلى التفرقة بين نوعيه، فطبائع الأشياء تقدودنا إلى حقيقة أصولها في كثير من قضايا الفكر. فاللغة أداة التواصل والتعبير. ولذلك، لا نستطيع أن نتخلص من وجود الصلة بين مسميات المجتمع اللغوية الأوائل وتصنيفها إلى مذكر ومؤنث وبين معتقداتها الفكرية والعقائدية الخيالية من حيث نشأة الكون واستمرار الحياة الدنيوية عن طريق التزاوج بين الأنثى والذكر، سواء أكان من الحيوان أو ظواهر طبيعية أخرى.[10]

وإذا عدنا إلى فكر من نعرفهم من أوائل من خلال أقدم الأعمال الأدبية البشرية، وهي الأساطير الإغرقية، فإننا نجد أنفسنا أمام حقائق عبّرت عن خيال القدماء، وربما لها صلة بتذكير ما هو مذكر وتأنيث ما هو مؤنث. فإن الأساطير الإغرقية ترى أنّ جميع ما في الكون إما مذكرا وإما مؤنثا. فمن خلال أسطورة "أطلس" حيث تصور لنا أسطورة خاؤس وهو الهيولي أو اللاتكون، وقد أنجب نوكس (الليل الحالك) وأريبوس (الظلام العميق الدامس)، فأنجب أروس (إله الحب)، ووجد الليل والنهار، والضوء والظلام، والجمال والنظام، كما

[9] نفس المرجع، ٣٩.

[10] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ١٨ و ٢٨؛ وانظر وانظر كارل بروكلمان، فقه اللغة السامية، ٩٥.

وجدت جايا (الأرض) و أورانوس (السماء). والتقت الأنثى (جايا) بالذكر (أورانوس)، فأنجبا جماعة من المسوخ والكوكلوبيس والتياتن، إلى آخر هذه الأسطورة.[11]

ولا يقتصر مثل هذه الأسطورة في المجتمع اليوناني، بل نجد مثل هذه في حياة العرب قبل الإسلام. بدأ الإنسان الأول يرى في كل مظاهر الطبيعة حياة كما يشعر بها في نفسه. رأى النجوم تجري في فلك السماء والأشجار تنمو في الأرض وفوق الجبال، ورأى خروج النار ببطن الشجر الأخضر والحجر الصامت، فوقف حائرا أمام هذه الغرائب كلها. فاكتفت عقليته المتحيرة بأن تحسبها أشخاصا مثل شخصيته وأن لها حياة مثل حياته. وتوجد هذه الأساطير أيضا عند الساميين والبابلية.[12]

فمن الأسطورة وغيرها كما قدمنا يمكننا أن ندرك أنّ فكر الأوائل ينبع من خلود الكون والكائنات في الدنيا نتيجة الالتقاء بين الذكر والأنثى. فذكّروا من الطبيعة وأنثوا ما يحقق فكرتهم في كيفية الخلود، وما يفسر نشأة الكون والمخلوقات. وأنه بمثل هذه المعتقدات والأفكار في المجتمعات المختلفة في أماكنها وأزمانها كان تأنيث الجمادات وتذكيرها. وكان الاختلاف بين المجتمعات في تأنيث بعضها وتذكير بعضها طبقا لمعتقدات كل مجتمع.

مهما يكن من الأمر، إن صحّ هذه الإفتراضات، فهذه الفكرة لم تستطيع أن تحلّ التساؤلات حول بعض ظواهر التذكير والتأنيث في اللغة العربية خاصة وفي اللغات عامة. وعندما تحضر الإنسان وابتكروا الأدوات الصناعية، فرأوا بعضها من جنس المذكر وبعضها من جنس المؤنث. فطبقوا نظرية التذكير والتأنيث في هذه الأوات. ولكن ما زال هاناك تساؤلات، وهي ما أساس تذكير هذه الأدوات وتأنيثها.

جهود العلماء في قضية المذكر والمؤنث في اللغة العربية

ليست هناك قضية لغوية تجذب أنظار العلماء أكثر من اهتمامهم بقضية التذكير والتأنيث في اللغة. يرى برجشتراسر أن السبب من ذلك، لأن قضية التذكير والتأنيث من أغمض أبواب النحو ومسائلها عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا جازما مع صرف الجهد الشديد في ذلك.[13] فعلى هذا، عني العرب منذ فجر

[11] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ٥٠.

[12] محمد عبد المعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، (القاهرة: مطبعة الحسة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧)،٤٣-٤٤.

[13] انظر أبو الحسين أحمد بن فارس، المذكر والمؤنث، قدمه رمضان عبد التواب (الطبعة الأولى؛ القاهرة؛ دون مطبعة، ١٩٦٩)، ٤٠.

نهضتهم العلمية بظاهرة المذكر والمؤنث، فدرسوا من نواحيها كافة: النحوية، والصرفية والصوتية والدلالية، وأفردوا لذلك كتبا كثيرة.

أما الكتب أو الرسائل التى أفردوها لهذه الظاهرة حسب تسلسلها الومني فكما يلي:١) كتاب المذكر والمؤنث لأبي زكريا بن زياد الفراء (١٤٤-٢٠٧ هـ.). ويعدّ هذا الكتاب من أقدم كتاب ألف في هذا الفنّ.[14] ٢) كتاب المذكر والمؤنث لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (١٢٢ – ٢١٦ هـ)، والكتاب لم يصل إلينا. ٣) المذكر والمؤنث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ – ٢٢٤ هـ)، وهذا لم يصل إلينا. ٤) المذكر والمؤنث لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (١٨٦-٢٤٤ هـ)، والكتاب لم يصل إلينا. ٥) المذكر والمؤنث لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (.... – ٢٥٥ هـ). والكتاب نشره إبراهيم السمرائي لأول مرة في مجلة رسالة الإسلام سنة ١٩٦٩. ٦) المذكر والمؤنث لأبي جعفر أحمد بن عبيد الكوفيّ (... – ٢٧٣ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ٧) المذكر والمؤنث لأبي العباس محمد ين يزيد المبرد (٢١٠ هـ-٢٨٥ هـ). وقد نشر الكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدتور صلاح الدين الهادي سنة ١٩٧٠م. ٨) مختصر المذكر والمؤنث لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (... – ٩٠٣ م.). وقد صدر الكتاب بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب في القاهرة سنة ١٩٧٢. ٩) المذكر والمؤنث لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (... – ٣٠٤ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ١٠) المذكر والمؤنث لأبي جعفر أحمد بن محمد بن يزديار بن رستم الطبري (... – بعد ٣٠٤ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ١١) ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس لأبي موسى سليمان بن محمد الحامض (...- ٣٠٥ هـ). والكتاب رسالة صغيرة نشره الدكتور رمضان عبد التواب في كتيبه التذكير والتأنيث في اللغة مع تحقيق رسالة أبي موسى الحامض في المذكر والمؤنث، وذلك سنة ١٩٦٨ في القاهرة. ١٢) كتاب الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ بن سهل الزجَّاج (٢٤١ – ٣١١ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ١٣) المذكر والمؤنث لأبي بكر أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج بن شقير (... – ٣١٧ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ١٤) المذكر والمؤنث لأبي بكر عبد الله بن محمد بن شقير النحوي. والكتاب لم يصل إلينا. ١٥) المذكر والمؤنث لأبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن بنة كيسان (... – ٣٢٠ هـ). والكتاب لم يصل إلينا. ١٦) المذكر والمؤنث لأبي بكر بن محمد بن عثمان

[14] انظر أبا زكريا بن يحيى بن زياد الفزاء، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب (القاهرة: دار التراث، ١٩٨٩)، ٣٧.

(... – بعد ٣٢٠ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ١٧) المذكر والمؤنث لأبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الأعربي الوشّاء (... – ٣٢٥ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ١٨) المذكر والمؤنث لأبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان الحزار (... – ٣٢٥ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ١٩)المذكر والمؤنث لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (٢٧١-٣٢٥ ه). والكتاب طبع بتحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي، كما طبع جزء منه بتحقيق محمد بن عبد الخالك عضيمة، وهو أضخم كتب المذكر والمؤنث وأفضلها على الإطلاق. ٢٠) المذكر والمؤنث لأبي محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه (٢٥٨-٣٤٧ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ٢١) المذكر والمؤنث لأبي بكر محمد بن الحسن بن يعقوب العطار (٢٦٥-٣٥٤ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ٢٢) المذكر والمؤنث لأبي الحسين سعيد بن إبراهيم بن التستري (... – ٣٦٠ ه). والكتاب نشر بتحقيق الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي. ٢٣) المذكر والمؤنث لأبي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن خالويه (... – ٣٧٠ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ٢٤) المذكر والمؤنث لأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي العدوي (... ٣٨٠ ه). والكتاب لم يصل إلينا. ٢٥) المذكر والمؤنث لأبي الفتح عثمان بن جنّي (... – ٣٩٢ ه). وقد نشر الكتاب وحققه طارق نجم عبد الله سنة ١٩٨٥. ٢٦) المذكر والمؤنث لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي (٣٢٩-٣٩٥ ه). والكتاب نشر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب. ٢٧) المذكر والمؤنث الأبي داود سهل بن محمد النحوي مؤدب سيف الدولة الحمداني. والكتاب لم يصل إلينا. ٢٨) المذكر والمؤنث لأبي الجود القاسم بن محمد العجلاني. والكتاب لم يصل إلينا. ٢٩) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (٥١٣-٥٧٧ ه). والكتاب صدر بالقاهرة في السنة ١٩٧٠ بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب. ٣٠) فتح المنان بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان لأحمد بن أحمد بن محمد السجاعيّ الشافعي البدراوي (... – ١١٩٧ ه). والكتاب لم يصل إلينا.[15]

وفي العصر الحديث، سار العلماء والباحثون على خطي أسلافهم في إفراد مسألة المذكر والمؤنث ببعض مؤلفاتهم، منها: ١) الإمتاع فيما يحتاج تأنيثه إلى سماع للشيخ محمد الخضر حسين (1293-1377 ه). طبع الكتاب

[15] إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في المذكر والمؤنث (الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)،١٥-٤٩.

بمطبعة منير بالقاهرة. ٢) المبتكر فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر لذي الفقار النقوي. ألفه سنة 1297 هـ. ٣) الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا في العربية لمحمد وشاد عبد الظاهر خليفة. طبع في القاهرة سنة 1952 هـ. ٤) معجم المؤنثات السماعية العربية والدخيلة للدكتور حامد صادق قنيبي. ٥) التأنيث في اللغة العربية للدكتور إبراهيم إبراهيم بركات. ٦) معجم المذكر والمؤنث في اللغة العربية للدكتور محمد أحمد قاسم. ٧) ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية للدكتور إسماعيل أحمد عمايرة. ٧) المعجم المفصل في المذكر والمؤنث لإميل بديع يعقوب.[16]

إنّ الكتب عن المذكر والمؤنث ليست مقصورة عما ذكرناها، وإنما أكثرها لم يصل إلينا. وبجانب الكتب المختصة لمسائل المذكر والمؤنث، فإن الكلام عن هذه الظاهرة حافل في مباحث كتب النحو. فإن معظم كتب النحو تناول عن هذه الظاهرة. وكلٌّ يدل على أهمية المذكر والمؤنث في اللغة العربية خاصة واللغات الأخرى عامة، مما فيه من غموض وإشكال.

إدراج الأسماء العربية تحت المذكر والمؤنث وقضاياه

نظرية التذكير والتأنيث في المجتمع البدائي

هناك افتراض قدمه الباحثون أنّ الإنسان في بداية وجوده كان يعبر عن التذكير والتأنيث باستخدام الكلمات المستقلة، لا باستخدام الإلحاق الصوتي. فجعل للمذكر كلمة وللمؤنثه كلمة أخري. ويلاحظ هذه الظاهرة من الكلمات الدالة على مدلولات يحتاج إليها الإنسان في بداية خلقه أو في بداية ميلاده. وربما كان ذلك حيث كانت الحاجة إلى التعبير اللغوي تضيق لضيق حاجة الإنسان إلى ما حواليه وضيق حدود عواطفه ومشاعره.[17]

وتدل مقارنة اللغات السامية مثلا، على أنّ الساميين القدامى كانوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة، لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وكلمة أخرى من أصل آخر للمؤنث. ففي اللغة العربية مثلا، كلمة: "حمار"

[16] إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في المذكر والمؤنث، ٤٩-٥٠.

[17] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ٢٠.

للمذكر في مقابل "أتان" للمؤنث في الحمير، و"حصان" للمذكر في مقابل "فرس" لأنثى الحصان، و "غلام" للمذكر في مقابل "جارية" للأنثى، و "أبٌ" في مقابل "أم"، وغير ذلك.[18] ونجد ذلك في اللغات الهندوأوربية. فيف الإنجليزية مثلا، father (أب) في مقابل mother (أمّ)، و son (ابن) في مقابل daughter (بنت). وفي أربع عشرة لغة أوربية، يعبر "أخ" و "أخت" بكلمتين مختلفتين:[19]

لغة	مذكر	مؤنث
الإنجليزية	Brother	Mother
الفرنسية	Fré re	Soeur
الإيطالية	Fratello	Soella
الرومانية	Frata	Sora
الألمانية	Bruder	Schwester
الهولندية	Broer	Zuster
السويدية	Broder	Syster
الدنماركية	Broder	Saster
النرويجية	Bror	Saster
البولندية	Brat	Siostra
التشيكية	Brater	Sestra
الصربو – كرواتية	Brar	Sestra
الهنغارية	Fivé r	No>vé r
الفنلندية	Veli	Sisar

وعلى هذه النظرية، فقد استخدم الإنسان الكلمات المستقلة، لا بالإلحاق الصوتي. ونتيجة ذلك أصبح من السهل التمييز بين المذكر والمؤنث. وما دام الإنسان في طوره الأول، فالأشياء من حوله محددة لا تفرع فيها ولا تعقيد. فنظرة عجلي في ثقافة الشعوب البدائية، تكشف عن تنوع الأجناس الموجودات تنوعا طريفا وفقا امعتقداتها الخرافية.[20] فظاهرة التذكير والتأنيث إذا لا تنفصل عن معتقدات المجتمع ونظرتهم إلى الموجودات.

[18] أبو البركات بن الأنباري، البلغة في *الفرق بين المذكر والمؤنث*، ٣٧.

[19] أبو البركات بن الأنباري، البلغة في *الفرق بين المذكر والمؤنث*، ٢١-٢٢.

[20] إسماعيل أحمد عمايرة، *ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغة السامية*، ١١.

التذكير والتأنيث بين الحقيقة اللغوية والعلاقة المنطقية

إن اللغة العربية تقسم كلّ الموجودات إلى جنس المذكر والمؤنث. لكننا نجد أنّ هذه الموجودات تنقسم من حيث مدلول التذكير والتأنيث إلى أقسام. منها ما هو مخلوق حيوان، ومنها ما هو نبات، ومنها ما هو جماد لا نحس به حياة ملموسة لدى البشر. ونلحظ أن ما به حياة من الحيوانات والنباتات ويتكاثر عن طريق الذكر والأنثى. ثم نجد ما يقع تحت هذا التقسيم من موجودات يتضمن تكوينه البيولوجي ما يدل على ذكورته أو أنوثته من أعضاء ذكورة أو أنوثة. لكننا نلحظ كذلك أنه من العسير على الإنسان أن يميز بين أنثى وذكر كثير من الحيوانات، مثل الثعبان والضبع والعقرب وغير ذلك. هذا، إلى جانب ما إذا ذكرنا الجمادات وأدركنا عدم إمكان بيان مذكرها من مؤنثها. فلا مذكر فيها ولا مؤنث على قدر علمنا، إذ لا تناسل ولا تكاثر.

من جانب ما ذكرنا، فإنّ بعض اللغات قد أهملت جانب التذكير والتأنيث تماما، وبعضها إلى ثلاثة أنواع، تتباين بين التذكير والتأنيث والتحايد. وبعضها قسم الأسماء في أكثر من ذلك، مثل ما حدث في لغة البانتو. كل هذا لا يفوت علينا فكرة انتظام الأسماء كلها في اللغة العربية في المذكرات والمؤنثات دون النظر إلى كونها حية أو جمادا. وهنا يكون الالتباس بين احتساب الاسم الجامد مذكرا أم مؤنثا. وهذا ما دعا العلماء أن يؤلفوا في المذكر والمؤنث في تصانيفهم العديدة عبر الأجيال اللغوية المتعاقبة، مما يدلّ على التباس كثير من المذكرات والمؤنثات على كثير من التخاطبين.[21]

إذا ضربنا صفحا عن المذكر والمؤنث الحقيقيين، وأمعنّا النظر فيما ذكّر وما أنّث مجازيا، متسائلين عن سبب تأنيث المؤنث وتذكير المذكر، فإنّنا نوقن بأن لا صلة منطقية أو عقلية بين الاسم ودلالته على التذكير والتأنيث. والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية، أنّ من اللغات ما يعدّ بعض الكلمات مؤنثا، وهي مذكرة في لغات أخرى، والعكس بالعكس، كما نشهد في القائمة الآتية:[22]

رقم	الأسماء	في العربية	في الألمانية
.1	الخمر	مؤنث	مذكر

[21] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ٤١.

[22] عمر بوبقار، ظاهرة الجنس (التذكير والتأنيث) مقاربة لسانية، *مجلة الأثر*، العدد ١٣، مارس ٢٠١٢، ص.٢٤.

.2	السِنّ	مؤنث	مذكر
.3	السوق	مؤنث	مذكر
.4	الصدر	مذكر	مؤنث
.5	الأنف	مذكر	مؤنث
.6	اللسان	مذكر	مؤنث

اعتمادا على ما ذكرنا، فإنّ الجنس يجرى على منطق خاص، بمعنى أنّ الجنس اللغوي لا يطابق الجنس في الواقع الطبيعي. فهذا ما يحمل السعراني إلى الحكم بعدم تطابق الجنس لغويا مع الجنس في الواقع الطبيعي. ويؤكد ذلك عنده أنّ العربية تعامل الكلمات في المفرد معاملة المذكر، بينما تعاملها في حالة الجمع معاملة المؤنث.[23]

ولعل ما سبق من الأمثلة، إلى جانب تقسيم التكثير والتأنيث إلى حقيقي ومجازي، واختلاف اللهجات في الاسم الواحد تذكيرا وتأنيثا، مما جعل برجشترا يقرر أنّ التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلها عديدة ومشكلة، كما قدمنا في المقدمة.

تقسيم المذكر والمؤنث إلى حقيقي ولفظي وقضية العلامات

إن الكلام عن التذكير والتأنيث لا ينتهي في تصنيف الأسماء إلى مذكر ومؤنث فحسب، بل يتعدى إلى الكلام عن العلامات الفارقة بين هذين الجنسين. ففي بعض اللغات، تفرق بين المذكر والمؤنث بالعلامات الخاصة. وقد حصر اللغويون العرب علامات التأنيث في اللغة العربية في: التاء أو الهاء على الخلاف بينهم، والألف المقصورة، والألف الممدودة مبدلة همزة، والكسرة، والنون، والألف الملحقة بهاء الغائبة (الحركة الطويلة بالفتحة)، والإضافات الصوتية (في بعض اللهجات العربية لبيان حركة التأنيث.[24] والكلام عن العلامات التأنيث له صلة عن تقسيم المؤنث والمذكر إلى حقيقي ولفظي.

المذكر والمؤنث الحقيقي وه ما كان مذكرا أو مؤنثا في الرجل والمرأة وجميع الحيوان بغض النظر عن العلامة اللفظية. ولذلك، لو سميت رجلا مثلا بـ "طلحة" (بتاء مربوطة)، لخبرت عنه إذا كان اسمه مذكرا. وبالعكس،

[23] محمود السعراني، علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، (بيروت: دار النهضة العربية، دون سنة)، ص.٧٩.

[24] انظر: سيبويه، *الكتاب؛ كتاب سيبويه*، الجزء الرابع، ص. ١٩٩ و ٢٣٦ و ٣١٨؛ وانظر إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ٤١.

لو سميت امرأة أو إناث الحيوانات باسم مذكر، لخبرت عنها وسمها مؤنث. وذلك نحو: امرأة سميتها " جعفر " فتقول: جاءتني جعفر، ولا يجوز أن تقول "جاءني جعفر" لأنّ التأنيث حقيقة.[25] وهذا الضرب من المذكر يعرف قياسا وسماعا وطباعا، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.[26]

أما المؤنث غير الحقيقي فإنما هو مذكر من حيث اللفظ، وذلك بأن يكون فيه علامة التأنيث من غير أن يكون تحته معنى، وذلك نحو: البشرى والذكرى وصحراء وعذراء وغرفة وظلمة. وذلك يكون بالاصطلاح ووضع البشري. والمؤنث غير الحقيقي أضعف في نسبته إلى التأنيث من المؤنث الحقيقي. وذلك لأنه يختص باللفظ دون المدلول، فلا يدل معنى مؤنث تحته.

مما سبق نلحظ أن ظاهرة المؤنث الحقيقي وغير الحقيقي من حثي العلامة، تتبين في القائمة الآتنية:[27]

المؤنث الحقيقي	المؤنث غير الحقيقي
قد يكون اسما يطلق لأنثى من حيث المدلول، وتتضمن صيغته أو بنيته إحدى علامات التأنيث.	قد يكون اسما يطلق للمذكر، لكنه يتضمن علامة من علامات التأنيث. وهو تأنيث لفظي فقط، حيث اللفظ به علامة التأنيث ولكن الملول مذكر، مثل: حمزة، وعطية.
قد يكون اسما يطلق لأنثى من حيث المدلول، إلا أنّ لفظه من المذكر، مثل: مدَرِّسة (مؤنث) من مدرس (مذكر)	قد يكون اسما يطلق لجماد أو اسم معنى لا يمكن الحكم بتذكيره أو تأنيثه، وبصيغته البنيوية علامة من علامات التأنيث، مثل: بشرى، وبأساء، وعصا.
قد يكون المؤنث الحقيقي اسما مطلقا للأنثى وتتضمن بنيته علامة من علامات التأنيث، مثل: امرأة حبلى	قد يكون اسما يطلق لجماد أو لاسم معنى، وليس بصيغة البيوية علامة من علامات التأنيث، مثل: دار، وحرب، ونار.
قد يكون اسما مطلقا للأنثى، إلا أنّ لفظه لا يتضمن علامة من علامات التأنيث، وهو خاص بالإنثاث، مثل: جارية كاعب.	قد يكون اسما دالا على الجمع وهو جمع تكسير ولا يفرق في دلالته بين المذكرات والمؤنثات، الجمادات وأسماء المعاني وتتضمن صيغته علامة من علامات التأنيث، مثل: الجرحى، والقتلى.
	قد يكون اسما دالا على الجمع وهو جمع تكسير وصيغته لا تتضمن علامة من علامات التأنيث، مثل: دراهم، ومصابيح.

[25] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، كتاب المقتضب، الجزء الثالث (القاهرة: لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٩٤)، ٤٣٨.

[26] أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري، التبصرة والتذكرة، الجزء الثاني (الطبعة الأولى؛ دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦)، ٦١٣.

[27] إبراهيم إبراهيم بركات، التأنيث في اللغة العربية، ٤٦-٤٧.

خلاصة

إنّ ظاهرة المذكر والمؤنث في اللغة عامة واللغة العربية عامة من أوسع أبواب اللغة اهتماما من قبل العلماء، المتقدمين منهم والمتأخرين. وذلك بسب غموض هذا الباب وصعوبة تحليلها تحليا شاملا وقاطعا. فإنّ فكرة التذكير والتأنيث في اللغة نشأت ابتداء من معرفة الإنسان الفرق بين المذكر والمؤنث. والمذكر والمؤنث في المخلوقات التى تتكاثر عن طريق الذكر والأنثى، ليس هذا هو محل الغموض. فإنه يسهل لنا التفريق بينهما. ولكن المشكلة في إداج معظم الأسماء الجمادات التى لا حياة لها تحت تسمية المذكر أو المؤنث. وافترض العلماء في أسباب تسمية الأسماء الجمادات بالمذكر والمؤنث بأنه راجع إلى رأية الأسطورية للأقدميين، حيث إنهم يرون أن في جميع المخلوقات حياة، وأن بعضها مذكر وبعضها مؤنث، كما في الأساطير الإغريقية والمصرية القديمة. ولا تنفرد الإغريقية في مثل هذه الأساطير، وبكنها موجودة في العرب قبل الإسلام وفي المصرية القديمة.

وعلاوة على ما ذكرنا، فإن قضية التأنيث لا يقتصر على تسمية الجمادات بالمذكر أو المؤنث، بل تتأدى إلى مشكلة العلامة الفارقة بينهما. قد يكون اسما يطلق لأنثى من حيث المدلول، وتتضمن صيغته أو بنيته إحدى علامات التأنيث. والعكس، قد يكون اسما يطلق للمذكر، لكنه يتضمن علامة من علامات التأنيث. وهو تأنيث لفظي فقط، حيث اللفظ به علامة التأنيث ولكن الملول مذكر، مثل: حمزة، وعطية.

وغموض هذه المظهر اللغوي أدى كثير من العلماء إلى دراسة المذكر والمؤنث منذ قديم الزمان، من أمثال الأصمعي وابن سلام وابن إسحاق السكيت والسجستاني والمبرد والأنباري والزجاج والأعربي والأنباري والتستري وابن خالويه وابن جني وغيرهم.

ونستلخص من هذه القضية إلى أنّ دارس اللغة العربية في حاجة إلى معجم شامل تحتوي على تصنيف المذكر والمؤنث بجانب كتب القواعد لتسهيل التنعرف والتفريق بين نوعي الكلمة في اللغة العربية من حيث التذكير والتأنيث.

مراجع

‘Abd al-Tawwâb, Ramaḍân. *al-Taṭawwur al-Naḥwî li al-Lughat al-‘Arabiyah*. Cet. II. Cairo: Maktabat al-Khanjî, 1994.

‘Abd al-Tawwâb, Ramaḍân. *al-Madkhal ilâ ‘Ilm al-Lughah wa Manâhij al-Bath al-Lughawî.* Cet. II, Cairo: Maktabat al-Khanjî, 1985.

Al-Ḍamîrî, Abu Muhammad Abdullah bin Ali bin Ishaq. *Al-Tabṣirat wa al-Tabṣirah.* Juz II. Cet, I; Damaskus: Dâr al-Fikr, 1986.

Al-Farrâ, Zakariya bin Yahya bin Ziyâd. *Al-Mudhakkar wa al-Muannath.* Cairo: Dâr al-Turâs, 1989.

Al-Mubarrid, Abu al-‘Abbâs Muhammad bin Yazîd. *Kitâb al-Muqtadib.* Juz III. Cairo: Lajnat Ihyâ al-Turâs al-‘Arabî, 1994.

Al-Sa’rânî, Mahmûd. *‘Ilm al-Lughat: Muqaddimat li al-Qâri’ al-‘Arabî.* Beirut: Dâr al-Nahḍat al-‘Arabiyah, t.th.

Amâyirah, Ismâil Aḥmad *Ẓâhirat al-Ta’nîs fi Bayna al-Lughat al-‘Arabiyat wa al-Lughat al-Sâamiyah: Dirâsat Lughawiyyat Ta’silîyah*. Cet I; Urdun: Markaz al-Kitâb al-‘Ilmi, 1986.

Barakât, Ibrâhim Ibrâhim. *Al-Ta’nis fi al-Lughat al-‘Arabiyah*. Cet I; Cairo: Dâr al-Wafâ, 1988.

Bûbuqâr, Umar. *Zahirat al-Jins: al-Ta’nis wa al-Ta’nis, Muqârabat Lisâniyah*. Majallah al-Aṣar, edisi 13 Maret 2012.

Ibn al-Anbarî, Abu al-Barakât. *Al-Bulghat fi al-Farq Bayna al-Muzakkar wa al-Muannas*: T.tp: Maṭba’at Dâr al-Kutub, 1970.

Ibn Fâris, Abu al-Husain Ahmad, *Al-Muzakkar wa al-Muannas*. Cet I; Cairo: t.p., 1969.

Khân, Muhammad abd al-Mu’îd, al-Asâṭîr *al-‘Arabiyat Qabla al-Islâm.* Cairo: Maṭba’at al-Hasanah, 1937.

Nûr al-Dîn, ‘Iṣâm, *al-Muṣṭalah al-Ṣarf: Mumayyiz al-Tazkîr wa al-Ta’nîs*. Cet. I; t.tp: Jami’at al-Riyâd, 1977.

Sibawayh, *al-Kitâb: Kitâb Sibawayh*. Juz I dan IV. Cet. III; Cairo: Maktabat al-Khanjî, 1988.

Ya’qub, Emil Badî’. *Al-Mu’jam al-Mufassal fi al-Muzakkar wa al-Muannas.* Cet. I; Beirut: Dâr al-Kutub al-‘Ilmiyah, 1994.